حول مفهوم السينما السياسية في العالم العربي

شاكر نوري

ما يزال مصطلح (السينما السياسية) يشغل النقاد والمفكرين منذ اوائل السنينات وحتى الان اي منذ ان بدأت الافلام تتناول القضايا السياسية. وبازدياد نسبة الافلام ، بدأ النقد السينمائي يطلق هذا المصطلح بشكل غامض وغير دقيق وخاصة في وطننا العربي ، ومن المعروف جدا ان تعبير "السينما السياسية" اصبح شائعا في العالم كله خلال السنوات العشر الاخيرة ، حيث كان قد بلغ ذروته مع فيلم "زد" الذي اخرجه غوستا غافراس.

وبالرغم من وجود السينما السياسية قبل هذا الفيلم وبعده الا ان هذا الفيلم حدد مفهوم الفيلم السياسي بشكل واضح. ان السينما السياسة لا تعني بالضرورة السينما الثورية بل يمكن ان تكون سينما رجعية يمكن ان يكتنف التأمل الدقيق لها عن العديد من الوسائل والاساليب الكامنة التي يمكن ان تلجأ اليها الافلام الغرضة التجارية تحت غطاء معالجة القضايا السياسة الملحة التي تخص بالجماهير الشعبة اكثر مما تمس اولئك المهيمنين على شباك التذاكر).

الفيلم والايديولوجيا

اذا ما سلمنا بمقولة الناقد الفرنسي المعروف مارسيل مارتين بان "كل فيلم بحققه فنان لا بد وان يتضمن محتوى تاريخيا واجتماعيا وسياسيا اذ لا يمكن ان يوجد ثمة برج عاجي لا بالنسبة للناقد ولا للسينمائي. كل فيلم هو سياسي بدرجات معينة. ان وهم الفن غير الملتزم قد تبدد الان وتلاشى." اذن حسب رأي مارسيل مارتين ان كل فيلم ايا كان يتضمن دائما موقفا سياسيا او رؤية سياسية سواء بالسلب او الايجاب وهذا يصح بالنسبة للسينما اكثر من الفنون الاخرى لان الفيلم لا يمكن ان ينتج في فراغ وانما ينشأ في واقع اقتصادي وسياسي محدد، وبالتالي يؤدي هذا الانتاج الثقافي- الفيلم وظيفته اما في دعم قيم وافكار متخلفة او تبرير فكر سائد او لطرح قيم جديدة وخلق حوار مع الجمهور.

وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى ان ظهور الرأسمالية قدم للسينما القاعدة المالية والصناعية كما وان تطور الاجهزة الفنية ساعد في تقديم العروض السينمائية الى اوسع جمهور ممكن، يقول المفكر السينمائي (بيلا بيلاس): السينما هي الفن الوحيد الذي ولد في عهد الرأسمالية على عكس الفنون الاخرى التي تمتد جذورها واصولها الى فترة ما قبل الرأسمالية ، ولذلك فانها تحمل تأثيرات الاشكال القديمة ، وخاصة تأثير الايديولوجيا الاكثر قدما. وينبغي ان ندرك ايضا اثر التقاليد الجمالية للبرجوازية اضافة الى تاريخ كامل من الفن ارسى السلطة المطلقة لفنون ما قبل الرأسمالية وخاصة الفنون القديمة وفوائنها الدائمة" وفي ذات الوقت ينبغي الا ننسى بان ولادة الاشتراكية وفر ايضا القاعدة الاقتصادية- الصناعية للسينما اضافة الى اعطاء الفن السينمائي محتوا فكريا جديدا. وما يقصده

القسم الأول

(بيلا بيلاس) هو تطور الرأسمالية لامكانيات الانتاج المادية والتقنية. تلك الامكانيات الضرورية لانتاج اي فيلم سواء كان ذي ميزانية ضخمة ام ضئيلة.

ولا بد من الاشارة الى ان موضوع السينما السياسة قد اثير منذ عام ١٩٦٨ في النظرية السينمائية اكثر من السابق، وخاصة في فرنسا بعد ثورة الطلبة حيث اصبحت امكانية خلق سينما سياسة من اكثر المشاكل الحاحا. ولكن صحب ذلك تسرعا كبيرا في اطلاق المفاهيم والمصطلحات كما هو الحال في ايطاليا وخاصة ما طرحته مجلة **Filmcritica** او في انكلترا مجلة **Afterimage** والولايات المتحدة في مجلة **Cimeast** اوكندا في مجلة **Champ Libre** الا انها لم تصدر اعدادا خاصة تعالج فيها علاقة السينما بالسياسة. وقد امتزجت هذه الكتابات باساليب اخرى مثل البنيوية والسيميولوجية والظاهراتية.

فاذا ما اعتبرنا السينما بانها تشكل جزءا من الايديولوجيا ، فان الاعمال السينمائية ما هي الا عبارة عن اشكال ايديولوجية على حد **Formes Idéologiques**

تول ماركس اي المرحلة العليا من التنظيم الاجتماعي ووظيفة الايديولوجيا وبما ان الانتاج السينمائي يمكن تشبيهه بالسلع اكثر من اي منتوج ثقافي اخر وذلك لخضوع السينما الى نمط معين من الانتاج ، فالاعمال السينمائية هي اشكال ايديولوجية اكثر ارتباطا بالانتاج. فالطبقة التي تمتلك في حوزتها وسائل الانتاج المادية ، تعرض من خلالها قيمها الروحية ايضا على حد تعبير ماركس وبرتبط كل ذلك بالانتاج الثقافي عبر التاريخ..

في السينما السياسة ، ينبغي ان نفرق بين اتجاهين مختلفين يعتمدان على طريقة معالجة الموضوع :

١. الافلام التي تتعامل مع الاحداث بشكل غير مباشر، اي انها لا تدور حول موضوع سياسي مخصص ودقيق ، ولكنها تهدف الى ادانة نظام سياسي معين او مفاهيم معينة بطريقة عامة وغامضة.

٢. الافلام التي تتعامل مع الاحداث السياسة بشكل مباشر وتاخذ من الاحداث السياسة موضوعا لها كممارسة سياسة محددة اي اتخاذ الموضوع السياسي كمادة درامية اساسية.

وليس بالضرورة ان نسمي كل فيلم يعالج موضوعا سياسا بـ (السينما السياسية) اذ ثمة افلام يمكن تسميتها بالافلام الايديولوجية او الافلام الدعائية. وهي تصب بالتالي في هدف سياسي سلبا او ايجابا. والحقيقة ، الفيلم السياسي يقاس بمقدرته على نقل الحقيقة كما هي دون تحريف وتزييف للوقائع التاريخية والا تحول الفيلم الى محرد فيلم دعائي. ونلاحظ في عالمنا العربي ان ثمة افلام مفبركة بشكل مفتعل تسعى لخلق اوهام او مفاهيم ايديولوجية او اطروحات سياسة وبثها في الفيلم بشكل عشوائي فج بشر الملل والقرف في نفسية الجمهور العربي الذي عاش احداثا تاريخية يراها مزورة او مشوهة على الشاشة ، فلا غرابة ان يندهش العامل في رؤية صورته وكذلك يندهش الفلاح هو الاخر في رؤية صورته التي ارادتها له السلطة. ان محاولة تمويه وتشويه الاحداث التاريخية لا تخلق بالتالي سوى ردود فعل سلبية عند الجمهور.. وهي بالتالي وسيلة جيدة لاكتشاف الحقائق.

في ذكرى غسان حرب
رمز الشجاعة والعطاء

" اي مشعل للفكر انطفا
اي قلب توقف عن الخفقان!!"
وتتحوصل اللوعة عمة في حمة القلب!!

– هل هو البكاء !!
– او كان لا بد لمثله ان يموت!!
ويطغى الاسى ، فيسكن حمات العيون.. ويدور الحاطر :
– انه يا "غسان" لقاء اخير
اه يا "غسان" وداع اخير

فدقي يا احراس ازهار المصير
ها هو العارس يمضي
ثغره الصبح وعيناه النجوم
ها هو الفارس يمضي
وعلى نفس الدرب المتعب يمضي
لم تتعب خطاه
ولم يجاف القدم الطريق
ها هو العارس يمضي
ها هو العارس عما يغيب !

– عاش طويلا ومات طويلا..
وتخطى الالم بالبسمة ، بسمة الايمان بالناس والفجر والنصر..
لم تتعب ابدا منه الارادة رغم كل التعب الذي حمله الجسد المنحى..

ها هو العارس يمضي
يزرع الدرب رفاقا وانتصار
ها هو العارس يمضي
وهو يا "غسان" منوار اخير
اقسموا هناك ، عمالا وفلاحين ومثقفين وفقراء ومعهم كل الشرفاء :
– العطاء ما اعطيت..
وسنبقى بيننا
كلما لاح "فجر"
او دوى نشيد !

– وداعا "ايا الفجر" لن ننساك ابدا، لن ننسى ما عرفناك عليه وماحرباه ، سنبقى على الوفاء ابدا لذكراك ، ما دام هناك وفاء لهذا الشعب.. فطبت حيا ، وطبت ميتا ولذكراك الخلود .

– محمد البطراوي –

خاطرة
على الرصيف

الثلج يتساقط بغزارة ، يرد الاتحاد السوفييتي القارس بسخاء عطاءه . مرتدي معطفا يحاول ان يتدفأ به، ولكنه مع ذلك ، ما زال متسمرا في مكانه ، على قارعة الطريق ، بانتظار حضور الباص. وتمضي الدقائق وبتراكم الثلج، وتشتد البرودة ، يأتي الباص، ولكنه لا يصعد ، يستغرب ذلك من كان ينتظر معه الباص، يعتقد بظن انه بانتظار فتاة ، والبعض الاخر لا يجد تفسيرا منطقيا لهذا التصرف، ومع ذلك يتسمر في مكانه، ينظر الى الشارع، يعيش حالتين ، ولعله الاولا يرى الا هذا الشارع.

تطوق في مخيلته الذكريات، هذا الشارع السوفياتي شبيه كل الشبه، بذلك الشارع، شارع مدينته ، شارع مدرسته ، حيث مشى لاكثر من عشرة اعوام ويوميا. انه شارع المدرسة، والمظاهرات، والحجارة، واطارات السيارات المحترقة، انه شارع الشهيد، الذي خر صريعا امام عينيه، انه الشارع المروي بالدم ، انه الشارع الابدي، انه .. ، انه .. ، انه الثلج الابيض المتراكم على هذا الشارع السوفياتي في هذه اللحظة.

يلكزه احد المنتظرين مسبقا بوصول الباص، يصعد وهو ينفض عن نفسه هذا الطيف التذكاري، فقريبا جدا سيعود ، الى الشارع الام، الى الحجارة واطارات السيارات ، الى بلده، ومدرسته، وشارعه، وشهيده. الى المقبرة حيث سيضع باقة ورد معاهدا شهيده الذي سقط على الرصيف، على الشارع الشبيه كل الشبه بذلك الاخذ في الابتعاد عنه شيئا فشيئا مع ابتعاد الباص.

حسين خليل حسن
الاتحاد السوفيتي

الجديد

صدر مؤخرا عدد ممتاز من الجديد يحوي عددي شهري تشرين ثاني وكانون اول عام ١٩٨٣. ويحوي العدد بدوره بمناسبة مرور ٣٢ عاما على صدور الجديد، كما ويحوي احدث قصائد الشاعر سميح القاسم (سربة الصحراء) ويتابع د . اميل توما دراسته حول قيام منظمة الحرس الفلسطيني اضافة الى مواضيع اخرى كثيرة تحفل الجديد بها.

قصيدة عن إنسان صغير

شعر : روبرت روجد يستفنسكي، ترجمة مالك قطينه

في سالفة الازمان ..
قد كان ياما كان ..
في ارضنا هذي الصغيرة ،
من قساوتها المريرة ،
كان يا ما كان ..
انسان صغير !
كانت لديه وظيفة ..
حدا صغيرة ،
وحديد ايضا صغيرة ..
ومعاشه .. دوما صغير
واذا سوم رائع الاشراق ..
والدنيا بحسن بهاء ما خوذه
تدمت ، تدق عليه، في الشباك،

حرب ..
ظنها ما كان ان تبقى كسيره !!
البندقية ، حمن لبى ، سلموه
صغيرة،
والمعطف الحربي كان بحجمه
والحرب ، والخوذة !!
.. اما بلحظة ان هوى،
وبدون اي اضافة ،
ارضا، بضرجه دمه ..
وبصرخة الاعدام قد دوى فمه.
ما كان ان يكفي رخام الارض منصبا
كما يقام له بكامل طوله ..
نصبا !!

إضاءة

"ان البرجوازية لا يمكنها ان تحافظ على سيطرتها بدون نظام واسع ومتشعب ومنظم ومعد جيدا من النفاق والكذب والغش والخداع عبر القناط عصرية وشائعة ووعود ذات المعنى وداب الشمال بجمع الاصلاحات والازدهار للشعب وذلك كله بهدف ان يمنع الشعب عن المساهمة في النضال الثوري الهادف الى اسقاط البرجوازية."

– لينين –